جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة: الأولى

المادة: التعبير والإنشاء

عنوان المحاضرة: الأسلوب

مدرس المادة: د. أسراء شريف فهـد

الأسلوب

الأسلوب سبقت الإشارة من قبل إلى أَنّ طريق البيان هو الأسلوب، وهنا ينبغي الإشارة إلى أَنَّ كلمة(أسلوب) صارت حقلاً مشتركاً بين البيئات المختلفة، فقد يستعملها العلماء للإشارة إلى منهجٍ من مناهج البحث العلمي، وقد يستعملها الأدباء في الفنّ الأدبي قصصاً أو جدلاً أو تقريراً، وفي العنصر اللفظي سهلاً أَو معقداً، وفي إيراد الأفكار منطقية أو مضطربة، وقد يستعملها الموسيقيون للدلالة على طرق التلحين وتأليف الأنغام، ومثلهم الرسّامون فهي عندهم دليل على طريقة تأليف الألوان ومراعاة التناسب بينها، ومن هنا يمكن تناول موضوع الأسلوب من خلال ثلاث نقاط مهمة ، هي : أ . الأسلوب (لغة)، ب. أصل كلمة(أسلوب)، ج . الأسلوب(اصطلاحاً)، عند القدامى والمحدثين .

الأسلوب(لغة) : جاء في لسان العرب أَنّ الأسلوب ((يقال للسطر من النخيل ، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، فالأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال: أَنتم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب: الفنّ ، يقال: (أخذ فلان في أساليب من القول)، أَي: في أفانين منه))، وذكر الفيروزآبادي أنّ الأسلوب يطلق على الطريق، وعنق الأسد، والشموخ في الأنف، ومن هنا يلاحظ أنّ تعريف الأسلوب من الناحية اللغوية يشتمل على جانبين:

الأول: حسي يمثل الوضع الأسبق للفظ، كسطر النخيل، والطريق الممتد أو المسلوك، وغيرها.

والثاني : معنوي انتقلت فيه اللفظة من معانيها الحسية إلى معان أدبية أو نفسية، ومنها الفن من القول، أو الوجه، أو المذهب، وهذا الجانب أوسع من الجانب الأول (الحسي)، إذ يشمل الفنّ الأدبي الذي يتخذه الأديب وسيلة للإقناع والتأثير.

الأسلوب اصطلاحاً : الأسلوب عند العلماء القدامي: إن قول ابن منظور إن الأسلوب هو الفن، أو أساليب من القول، أي أفانين منه، يدل على أَنّ مفهوم الأسلوب لم يبق محصوراً في التحديد اللغوي، وإنما جاوزه إلى معنى الاصطلاح، أو قارب ذلك وقد حظي مصطلح الأسلوب بنصيب كبير من التعريفات، فتشعب هذا الكم بدوره إلى اتجاهات متباينة نتيجة لاتساع المسافة التي يشغلها في ميدان الدراسة، فحال ذلك دون وجود مصطلح دقيق للأسلوب وقد تباينت عبارة العلماء قديماً في تعريف الأسلوب ، ويمكن هنا إيراد بعضها :

١- قال ابن قتيبة ((وإنما يعرف القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاماً في نكاح أو حمالة أو تحضيض أو صلح أو ما يشبه ذلك لم يأت به من واد واحد، بل يفتنُّ، فيختصر تارة إرادة

التخفيف، ويُطيل تارة إرادة الإفهام، ويكرر تارة إرادة التوكيد، ويخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين، ويكشف بعضها حتى يفهمها بعض الأعجمين، ويشير إلى الشيء، ويكني عن الشيء، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال، وقدر الحفل، وكثرة الحشد، وجلالة المقام).

فقول ابن قتيبة صريح في أن الأسلوب عند العرب الكيفية التي يشكل بها المتكلم كلامه ، سواء أكان شعراً أم نثراً .

٢ – قال أبو سليمان الخطّابي: ((وهو أَن يجري أحد الشاعِرَين في أسلوب من أساليب الكلام، ووادٍ من أوديته، فيكون أحدهما أبلغ في وصف ما كان في باله من الآخر في نعت ما هو بإزائه)).

٣ – قال أبو بكر الباقلاني: ((إذا استحسنوا شيئاً اتبعوه وتنافسوا في محاكاته بباعث الجِبِلَّة، وكذلك رأينا أصحاب هذه الصناعة يتبع بعضهم بعضاً في ما يستجدونه من الأساليب، وربما أدرك فيه اللاحق شأو السابق، أو أربى عليه، كما صنع ابن العميد بأسلوب الجاحظ، وكما صنع الأدباء والخطباء اليوم في اقتداء بعضهم ببعض)).

فقد ذهب الباقلانيّ إلى أنّ الأسلوب منهلٌ مورود، ومسلك معبّد، يتبع فيه أرباب الصناعة بعضهم بعضًا في ما يستجد من الأساليب، وهو يؤخذ بالتعلم وتراض الألسنة والأقلام عليه بالمرانة كسائر الصناعات.

٤ – قال ابن خلدون في مقدمته عن الأسلوب: ((إنه عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادة أصل المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض ... وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيرها في الخيال كالقالب والمنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص فيه وتوجد فيه على أنحاء مختلفة)).

ومن قول ابن خلدون يمكن استنتاج ما يأتي:

أولاً: إن صياغة الأسلوب الجميل فن يعتمد على الطبع والتمرس بالكلام البليغ.

ثانياً: إن أصل الأسلوب صورة ذهنية تمتلأ بها النفس وتطبع الذوق من الدراسة والمرانة وقراءة الأدب الجميل.

ثالثاً: إن هذه الصورة الذهنية ليست معان جزئية، ولا جملا مستقلة، بل طريقة من طرق التعبير يسلكها المتكلم.

- **الأسلوب في الدراسات الحديثة**

أشارت أغلب الدراسات الحديثة في تعريف الأسلوب إلى أنّ(الأسلوب هو الرجل)، ومن هنا فقد خاض المفسرون في فهم هذه الجملة المقتطعة في اتجاهات شتى لفهمها كل يدلي بمعرفته الخاصة حتى خرج هذا المصطلح عن طبيعته القصدية، وأصبح يرد على أنه تعبير عن كل ما يأتي به الكاتب حتى في سلوكه العادي

إن هذه الجملة في هذا النص لا يعني أكثر من أن الأسلوب سمة شخصية في استعمال اللغة لا يمكن تكرارها.

وقد تناول كثير من العلماء هذا المصطلح فاختصروه، يقول(lucas) في تعريف الأسلوب بأنه: ((بداية طريقة الرجل في الكتابة))، ثمّ يطلق هذا المصطلح إطلاقاً شاملاً لجوانب التعبير الكتابية والشفهية، وقد اختلفت تعريفات الدارسين العرب بحسب مصادر ثقافة كل منهم ، وهنا يمكن الاكتفاء ببعض التعريفات خشية الإطالة :

عرفه مصطفى أمين بقوله: ((المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعل في نفوس سامعيه)) وعرفه الدكتور أحمد الشايب بقوله: ((طريقة الأداء أَو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أَو لنقله إلى من سواه بهذه العبارات اللغوية)) ويلاحظ أن قوله يشير إلى قضية العلاقة بين اللغة والفكر، وهي لفتة جوهرية في الدرس الأسلوبي الحديث.

ويرى **أحمد أمين** أن الأسلوب هو اختيار الكلام بما يتناسب ومقاصد صاحبه، ويعتمد نظم الكلام أولاً على اختيار الكلمات لا من ناحية معانيها فقط، بل من ناحيتها الفنية أيضاً بما توحيه من أفكار ترتبط بها، ومن ناحية وقعها الموسيقي.

ويمكن القول في ضوء ما سبق إنّ الأسلوب ينصب على اللفظ الذي يعبر به عن المعنى، أو هو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار، ولعله من الصعوبة تحديد مصطلح دقيق جامع مانع، إلا أن أغلب التعريفات السابقة تكاد تتفق على المعنى الآتي لمصطلح الأسلوب، **وهو : طريقة التفكير والتصوير والتعبير، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني .**

إن الصياغة والأسلوب طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه ، أو لنقله إلى من سواه بهذه العبارات اللغوية.

ويوجز لنا الشيخ **عبد العظيم الزرقاني** في كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن تعريف الأسلوب اصطلاحاً، فيقول: **((تواضع المتأدبون وعلماء العربية على أَنّ الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، أَو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه، أَو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك))**.

فالأسلوب يعني : جملة من القواعد الفنية والخصائص الجمالية العامة التي يسترشد بها الشاعر أو الناثر، ويدور في داخل محيطها محاولاً في نتاجه الابداعي مطابقتها والتقيد بها.

ويمكن تعريف الأسلوب أيضاً بأنه: ((النهج اللغوي الذي يشتقه الأديب لنفسه في خضم المادة اللغوية المتراكمة)) .

ومن هذا التعريف نستنتج ما يأتي :

١. أن الأسلوب نسق معين ونظام .

٢. أن النسق قد يكون عاما، فيعني الطريق، وقد يكون خاصا فيعني: الخروج على النظام اللغوي وكسر النسق.

والمهم في ذلك أن الأسلوب هو المذهب، ولكل كاتب مذهبه.

والأسلوب هو ثمرة عمل بشري كالنحات وضع تمثاله البديع من المادة الصماء وكذلك يشكل الشاعر أو الناثر جمله وإيقاعاته ومجازاته من اللغة.

وهو يعني: طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام تعبيرا عن المعاني لأغراض التأثير أو الإقناع .

ومن الجدير بالذكر أَن الأسلوب في العلم والتعليم يختلف عن الأسلوب في الأدب، فالشاعر والناثر يعبر عن شعره أو نثره بأسلوبه الأدبي، بينما يعبر العالم بأسلوبه العلمي أو التعليمي.

ومن هنا يمكن القول إنّ لكل كاتب ذي أصالة أسلوبه الخاص ومن خلال مطالعاتنا نستطيع التمييز بين اسلوب الشاعر البحتري، والشاعر أبي تمام، أو بين أسلوب الدكتور طه حسين في نثره وأسلوب الزيات في كتاباته.

ولكل عصر أُسلوبه الخاص نتيجة بيئة العصر أو ثقافته أو لغته، فالعصر العباسي مثلا له أسلوبه الخاص والعصر الحديث ايضا.

ولابد من وجود الأصالة في كل أسلوب أدبي، وكذلك الوجازة في الكلام، أي الاختصار البليغ، وكذلك التلاؤم والانسجام في المبنى والمعنى.

ويمكن أن نجسّد ذلك في الكثير من القطع الشعرية والنثرية كما في قصيدة الربيع للبحتري، وكتابات د طه حسين وأحمد حسن الزيات والعقاد وغيرهم.

فمثلا من يقرأ مؤلفات المازني يجد أن اسلوبه فكه ومطعم بنكهة أوربية وبساطة المفردات ويمتاز بالبسالة والسلاسة والليونة.

وأسلوب الدكتور طه حسين يمتاز بالتكرار الموسيقي والجمل المتقابلة وأسلوب عبّاس محمود العقاد يمتاز بازدحام الأفكار وقلة الألفاظ الإنشائية الزائدة (الحشوية).